

## سورة الكهف (الآيات: 10 - 12)

3

٣

### أهداف الدرس

- 1- أن أتعرف نبأ فتية الكهف إجمالاً.
- 2- أن أدرك سر حفظ الله تعالى لأوليائه.
- 3- أن أحرص على التزام الدعاء الصادق في حياتي.

### تمهيد

شَرَعَتْ هذه الآيات في بيان خبر فتية الكهف الذين ثبتوا على دينهم واعتصموا بربهم، فأكرمهم الله تعالى بالحفظ والحماية على وجه معجز خارق للعوائد والقواعد البشرية. فما هي دعوات الفتية التي تضرعوا بها إلى ربهم؟ وكيف حفظهم الله من عدوهم؟ وما الغاية من هذه الكرامة التي أكرم الله بها أصحاب الكهف؟

### الآيات

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا آوَيْنَاكَ إِلَى الْكَهْفِ بِقَوْلِ رَبِّنَا إِنَّا لَأَنزَلْنَا رَحْمَةً وَلَيُعِيبَنَّ لَنَا مِثْلَ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝١٠﴾ بِضَرْبِنَا عَلَىٰ آءِ إِيَّاهُمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۝١١ ثُمَّ بَعَثْنَا لِمُتْلَمٍّ أَيُّ الْيَحْزَنِيرِ أَخْبَرَ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ۝١٢﴾ [الكهف: 10-12]

## الفهم

الشرح:

آوى: لجأ وانحاز.

أَلْعَيْتُهُ: جمع قلة لـ «فتى» مثل غلام وغلّمة، وصبي وصبيّة، وأما جمع الكثرة ففتيان، أي شباب متقاربون.

استخلاص مضامين الآيات:

1 - بم دعا فتية الكهف؟ وعلام يدل دعاؤهم؟

2 - ما الغاية من قصة أصحاب الكهف؟

## التفسير

اشتملت آيات الدرس على ما يأتي:

**أَوَّلًا: تعلق أهل الإيمان بربهم والتجاؤهم إليه:**

قال تعالى: ﴿إِذْ آوَىٰ الْعِثَّةُ إِلَى الْكَفِّ﴾، أي: لجأوا وانحازوا إليه. وقد اختلف أهل التفسير في الفتية الذين هم أصحاب الكهف، فقيل: هم من الروم واتبعوا دين عيسى عليه السلام، وقيل: كانوا قبل عيسى عليه السلام، وقيل غير ذلك.

وقوله تعالى: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَتَيَقُّنَا آمَرِنَا رَشْدًا﴾، إخبار من الله تعالى عن الفتية أنهم لما أوا إلى الكهف، أي دخلوه وجعلوه مأوى لهم وموضع اعتصام، دعوا الله تعالى أن يؤتيهم رحمة من عنده، وهي الرزق فيما ذكره المفسرون، وأن يهبيء لهم من أمرهم رشداً. والرشد - بفتح الحاء - والرشد - بضم فسكون - لغتان: الفلاح والصلاح. ومعنى أن يهبيء لهم من أمرهم رشداً أي: خلاصاً جميلاً. وقرأ الجمهور ﴿رَشْدًا﴾ بفتح الراء والشين، وقرأ أبو رجاء «رُشداً» بضم الراء وسكون الشين، والأولى أرجح لشبهها بفواصل الآيات قبل وبعد. قال ابن عطية: «وهذا الدعاء منهم كان في أمر دنياهم، وألفاظه تقتضي ذلك، وقد كانوا على ثقة من رشد الآخرة ورحمتها، وينبغي لكل مؤمن أن يجعل دعاءه في أمر دنياه هذه الآية فقط، فإنها كافية».

والآية حكاية لما كان عليه الفتية من الإشفاق على دينهم، وتوجُّههم إلى الله عز وجل أن يثبتهم على الإيمان، ويهيء لهم المخرج مما هم فيه من الخوف من قومهم أن يفتنهم عن الدين الحق، ويحملوهم على ما هم عليه من الوثنية وعبادة الأصنام.

### ثانياً: حفظ الله تعالى لأوليائه:

لما علم الله صدق إيمان هؤلاء الفتية وتعلَّق قلوبهم به آوَاهم إليه، وهياً لهم من أمرهم رشداً، وجعل الكهف لهم حصناً وموتلاً، وأنزل عليهم من بعد الغم أَمْنَةً نَعاساً، لا كالنعاس الاعتيادي. قال سبحانه: ﴿بَصُرْنَا عَلَىٰ آيَاتِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ أي: ألقينا عليهم النوم حين دخلوا إلى الكهف، فناموا سنين كثيرة ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا لَهُمْ﴾ أي: من رقدتهم تلك. والبعث: هنا الإيقاظ، وفي ذكر لفظ البعث تنبيه على أن في هذه الإفاقة دليلاً على إمكان البعث وكيفيته. وفيه الكناية عن النوم بالضرب على الآذان بحيث لا يسمعون من الأصوات والحركات ما يوقظهم من النوم العميق.

وقوله: ﴿بَصُرْنَا عَلَىٰ آيَاتِهِمْ﴾ الآية، عبارة عن إلقاء الله تعالى النوم عليهم، ويعبر عن هذا ونحوه بـ «الضرب» لتبين قوة المباشرة وشدة اللصوق في الأمر المتكلم فيه والإلزام، ومنه ضرب الذلة والمسكنة، وضرب البعث. كلها تستعمل في اللزوم البليغ. وأما تخصيص «الآذان» بالذكر فلأنها الجارحة التي منها عظم فساد النوم، وقَلَمَا ينقطع نوم نائم إلا من جهة أذنه، ولا يستحكم نوم إلا مع تعطل السمع، ومن ذَكَرَ الأذن في النوم قوله ﷺ: «ذلك رجل بال الشيطان في أذنه» [صحيح البخاري: كتاب التهجد - باب إذا نام ولم يصل بال الشيطان في أذنه، حديث 1093] أشار - عليه السلام - إلى رجل طويل النوم لا يقوم بالليل للصلاة والتهجد.

وقوله تعالى: ﴿سِنِينَ عَدَدًا﴾ جمع سنة، وهو ملحق بجمع المذكر السالم منصوب على الظرفية، وعلامة نصبه الياء النائية عن الفتحة، و﴿عَدَدًا﴾ نعت للسنين. وعن الزجاج: يجوز أن يكون نصب عَدَدًا على المصدر.

### ثالثاً: الغاية من كرامة أصحاب الكهف:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا لَهُمْ لَتَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لَلْأَمَدِ﴾، فقلوه: ﴿لَتَعْلَمَ﴾ عبارة عن خروج ذلك الشيء إلى الوجود، وهذا جار في كلام العرب، أي: لنعلم ذلك موجوداً، وإلا فقد كان الله تعالى عالماً أيّ الحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِلْأَمَدِ. وقرأ الزهري «لَيُعْلَمَ» بالياء. والحزبان: الفريقان. والظاهر من الآية أن الحزب الأول هم الفتية، إذ ظنوا لبثهم قليلاً، والحزب الثاني هم أهل المدينة الذين بُعِثَ الفتية على عهدهم حين كان عندهم التاريخ بأمر الفتية، وهذا قول الجمهور من المفسرين.

وأما قوله: ﴿أَحْصَى﴾ فالظاهر الجيد فيه أنه فعل ماضٍ، و﴿أَمَدًا﴾ منصوب به على المفعول، و«الأمد» الغاية، وقال الزجاج: أَحْصَى هو أَفْعَلَ، يعني أنه اسم تفضيل بمعنى أكثر إحصاءً، وأَمَدًا على هذا نصب على التفسير - التمييز - ويحتج لقول أبي إسحاق الزجاج بأن «أَفْعَلَ» من الرباعي - وإن خرج عن القياس - فقد كثر، كقولك: ما أعطاه للمال!، وآتاه للخير!. وعن أبي هريرة في صفة جهنم: «لهي أسود من القار، والقار الزفت» [الموطأ: كتاب جهنم - باب ما جاء في صفة جهنم، حديث 1807] وقال - صلى الله عليه وسلم - في صفة حوضه: «وماؤه أبيض من اللبن» [صحيح البخاري: كتاب الرقاق - باب الحوض، حديث 6208]. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع» [الموطأ: كتاب وقوت الصلاة - باب وقوت الصلاة، حديث 6] وهذه كلها «أَفْعَلَ» من الرباعي. قال ابن عطية: «وقال الطبري: نصب أَمَدًا بـ ﴿لَيَبْثُوا﴾، وهذا غير متَّجِه». وإنما حكاه الطبري وجهاً ثانياً بعد أن قال: «وفي نصب قوله ﴿أَمَدًا﴾ وجهان: أحدهما أن يكون منصوباً على التفسير من قوله ﴿أَحْصَى﴾ كأنه قيل: أيّ الحزبين أوصوب عدداً لقدر لبثهم، وهذا هو أولى الوجهين في ذلك بالصواب؛ لأن تفسير أهل التفسير بذلك جاء، والآخر: أن يكون منصوباً بوقوع قوله ﴿لَيَبْثُوا﴾ عليه، كأنه قال: أيّ الحزبين أَحْصَى لِلْبُتْهِمْ غايةً». [جامع البيان 9 / 206].

### رابعاً: لطائف وفوائد:

- قال الامام الرازي رحمه الله: «اعلم أن القوم تعجبوا من قصة أصحاب الكهف وسألوا عنها الرسول ﷺ على سبيل الامتحان، فقال تعالى: أم حسبت أنهم كانوا عجباً من آياتنا؟ فلا تحسبن ذلك، فإن آياتنا كلها عجب، فإن من كان قادراً على تخليق السموات والأرض ثم يزين الأرض

بأنواع المعادن والنبات والحيوان، ثم يجعلها بعد ذلك صعيدا جزرا خالية عن الكل كيف يستبعدون من قدرته وحفظه ورحمته حفظ طائفة مدة ثلاثمائة سنة وأكثر في النوم؟!». [مفاتيح الغيب 21 / 430].

- النوم والبعث في قصة أصحاب الكهف آيتان من آيات الله تعالى وعجائب قدرته، وصورة من صور تولي الله عز وجل لأوليائه الذين ثبتوا على دينه واعتصموا بهدي ربهم وصدقوا في إرادة وجهه الكريم.

- الدعاء عبادة اتخذها الأنبياء والأولياء وعباد الله الصالحون مسلكهم في التقرب إلى الله وسؤال الحاجات، فضلا عما يورثه في القلب من أنس بالله وطمأنينة وسمو روعي.

- الدعاء بالرحمة والرشد من أعظم الدعاء؛ لما اشتمل عليه من جوامع خيري الدنيا والآخرة، والمؤمن لا يزال يدعو ربه ويسأله من فضله، ويطلب منه حاجاته في كل الأحوال وهو موقن بالإجابة.

### التقويم

- 1- ما الخلق الذي ميز الفتية حين أوا إلى الكهف؟ وكيف أتمثله في حياتي؟
- 2- لم عبّر عن إلقاء النوم عليهم بـ «الضرب»؟
- 3- علام استدل ابن عطية - رحمه الله - بهذا الحديث «ذلك رجل بال الشيطان في أذنه»؟
- 4- ما القراءات الواردة في قوله تعالى: «لَتَعْلَمَ أَشْيَ الْغُرَبَى»؟ وما أثر ذلك في المعنى؟

### الاستثمار

قال الإمام الطاهر ابن عاشور - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى: ﴿قَضَيْنَا عَلَىٰ آدَامَ إِنَّهُمْ...﴾: «تفريع هذه الجملة - بالفاء - إما على جملة دعائهم، فيؤذن بأن مضمونها استجابة دعوتهم، فجعل الله إيمانهم كرامة لهم، بأن سلمهم من التعذيب بأيدي أعدائهم، وأيد بذلك أنهم على الحق، وأرى الناس ذلك بعد زمن طويل. وإما على جملة ﴿إِنَّا آوَى الْيَعْتَبَةَ...﴾ فيؤذن بأن الله عجل لهم حصول ما قصدوه مما لم يكن في حسابهم». [التحرير والتوير 15 / 268].

أتأمل كلام ابن عاشور رحمه الله وأجيب عن الآتي:

1- ما الحكمة من تشريع الدعاء؟

2- ما أثر الدعاء في النجاة من الشدائد؟

### الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآيات: 13 - 16 من سورة الكهف وأجيب عن الآتي:

1- ما فائدة التنصيص على المرحلة العمرية لأصحاب الكهف وأنهم «يُتِيَهُ»؟

2- أستخرج من الآيات استعارة تصريحية.

3- أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: وَرَبَّكُنَا - شَهَادَةً - مَرْوفاً.